الرّواية الفرانكفونية وسؤال العلاقة مع الآخر

د.نبيل حويلي

جامعة الجزائر–2–

ملخّص:

سأسعى في مداخلتي هذه البحث في نصوص الرّواية الجزائرية المكتوبة بلغة الآخر، وأعني هنا الرّواية الفرانكفونية، وذلك عبر مجموعة من مؤلفات "محمّد ديب" و"آسيا جبار" و"مولود فرعون" و"فاطمة آيت منصور عمروش" و"خضرة ياسمينة" وغيرهم،... وتتناول هذه الرّوايات واقعا ثقافيا ملتبسا، وهوية ثقافية مزدوجة وأسئلة تتعلّق بمدى مصداقية تمثيل هؤلاء الكتّاب لواقع مجتمعاتهم الأصلية، وتبنّيهم في سرودهم للرؤية الاستشراقية التي ترضي المتلقي الغربي. ويقتضي الأمر استحضار البنيات السّردية واللّغوية والرّمزية بما يضمن تفادي أية إسقاطات إيديولوجية مباشرة، وتفكيك سياسات التمثيل بما في ذلك بؤر إنتاج المعنى، وزحزحة مراكز إنتاج الصّور والتمثلات باستكشاف مضمراتها الثقافية الإيديولوجية المبثوثة بشكل واعٍ أو غير واعٍ واستحضار سياقات الهوية.

الكلمات المفتاحيّة: الرّواية الفرانكفونية، الجزائر، الغرب، خطاب ما بعد الكولونيالية، الاستعمار، الآخر، الهوية.

Résumé:

Dans cet article, nous essayons de mettre en évidence comment le discours Autre 'littéraire traite la question de l dans les romans algériens d'expression française, notamment dans les romans de Mohamed Dib, de Mouloud Feraoun, d'Assia Djebar, de Kateb Yacine, de Fadhma Ait Mansour, de Yasmina Khadra...

Ces romans évoquent une réalité culturelle confuse et une double identité culturelle. En outre, ils soulèvent des interrogations quant à la crédibilité de leurs auteurs en représentant leurs sociétés d'origine et quant à leur adoption du point de vue orientaliste afin de satisfaire le récepteur occidental.

Aussi, il nous semble important, pour mieux les appréhender, de prendre en considération leurs structures narratives, linguistiques et symboliques afin d'éviter toute projection idéologique directe. Ce qui implique une déconstruction des représentations et une analyse des images et des clichés disséminés dans ces romans francophones algériens, en vue de déceler les connotations culturelles et idéologiques qui y sont diffusées, de façon consciente ou inconsciente, et de jeter la lumière sur les manifestations/expressions de l'identité.

Les mots clés : Le roman francophone, l'Algérie, l'occident, le discours post-colonial, la colonisation, l'autre, l'identité.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

توطئة:

لقد ذهب "إدوارد سعيد" إلى أن الغرب كونه ثقافيا متقدّما ومتعاليا، كان لا بدّ أن يؤدّي إلى رسم صور مشوهة للشرق. كما قدّمتها فعلا الكثير من الآراء الاستشراقية العنصرية كتلك التي "لإدوارد لين Edward William Lane " و"غوبينو Joseph Arthur de Gobineau " و"بلفور Balfour " و"كرومر Cromer " وغيرهم،... ليكون الشرق الخاص المختلف أو الملفق أو المصنوع أو على الأقل المشوّه، وفي النتيجة أصبح على الغربي أن يقبل الصّورة التي خلقها المستشرقون عن الشرق أو المستغربون عن المغرب – إن جاز القول– وتبلور عنصران رئيسيان في العلاقة بين الشرق والغرب، العنصر الأول هو المعرفة الأوروبية المنظمة المتنامية بالشرق وهي مواجهة الاستعمار، أما العنصر الثاني فهو أنّ علاقة أوروبا بالشرق كانت دائما علاقة قوّة، فقد كان الاستشراق في نهاية المطاف سياسة للواقع، ورؤية للفرق بين المألوف (أوروبا، نحن) وبين الغريب (الشرق، المشرق، هم)

وحينما عمّر الاستعمار الفرنسي طويلا بالجزائر كان من الضّروري أن يتشبّث الجزائري بلغته، ليس ليدعّمه بل ليتعلّم ويدرس سائر العلوم وبالتالي ينمّي قدراته العقلية. وظلّت اللّغة الفرنسية ولسنوات لغة الأدب في الجزائر باعتبارها أحد أهم إيالات النفوذ التقليدي للهيكل الفرانكفوني الفرنسي، وكانت الفرانكفونية المؤهّل الرّئيسي للعب دور الوسيط في علاقات فرنسا مع مستعمراتها القديمة بأفريقيا، ويكون هذا المعطى راجعا إلى بديهة الوجود الفرانكفوني داخل المشهد الأدبي لاسيما الرّواية منه.

وسأسعى في هذه الدراسة إلى البحث في غمار الرّواية الفرانكفونية الجزائرية عبر نماذج مختارة للدّراسة والتحليل، منطلقا من الخطاب ما بعد الكولونيالي ومهمّته المتمثّلة في تفكيك الخطابات الاستعمارية، كما يهدف إلى القضاء على الاختلاف والتمايزات التي ساقتها الممارسات الخطابية الغربية، والتي أُنتجت في جوٍّ من القوّة والسّلطة والمعرفة المحتكّمة إليهما، وتحاول التخلّص من الممارسات المعقّدة التي أنتجها التخييل، لتعبّر عن هوية هاربة من حدود اللا اعتراف، بل وتحاول التوقف عند حدود التمثيل المؤدلج الذي يحتكم لمنطق السيطرة. بالإضافة إلى استجلاء مواقف أكبر الكتاب الفرانكفونيين الجزائريين من أمثال: "مولود

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

معمري" و"آسيا جبار" عبر مجموعة من الرّوايات وأعمال "محمّد ديب" و"ياسمينة خضرة" و"كاتب ياسين" وغيرهم،... كما سأتوقّف عند الرّواية السّيرذاتية عند "فاظمة أيت منصور" و"مولود فرعون" وموقفهما من الآخر.

1- تحديد مصطلح الفرانكفونية:

تعود أصول مصطلح "الفرانكفونية" إلى العالم الجغرافي "أونسيم ريكو Ricoh " الذي توخّى منها تعبيرا عن فكرة لسانية وعلاقة جغرافية أرادها أداة لتنحية اللّغات واللّهجات في سبيل توحيدها في لغة واحدة، تكون الأساس في التواصل وفي اقتناء سائر العلوم والمعارف. والفرانكفونية عبارة عن أيديولوجية ذات بنية خطابية ووظائف وغايات محدّدة وكمؤسسة ذات سياسة رسمية مخصّصة وهيئات وفروع ودعم واعتمادات.

تشير لفظة (الفرانكفونية) في المعاجم اللّغوية إلى النّطق باللّغة الفرنسية، غير أنّ هذا التعريف غير صالح الدّلالة على مضمون اللّفظ كما يتجسّد في الواقع والممارسة. لأنّ مكانة اللّغة الفرنسية تختلف من بلد إلى آخر، فإن كانت لغة الأم في فرنسا وفي أجزاء كبيرة من المعمورة كما هو الحال في جزء من سويسرا وبلجيكا ولكسومبرغ وكندا (كيوبك)، فإنّها في بلدان أخرى تمثّل اللّغة الرّسمية كما هو الحال في الكثير من الدّول الأفريقية مثل: السينيغال والنيجر وبوركينا فاسو ومالي وغينيا، وهي لغة أجنبية في العديد من الدّول ويمكن أن نمثّل هنا بالجزائر والمغرب ولبنان.

ويعدّ الرّئيس السينيغالي الأسبق "ليوبول سيدار سنغور" Léopold Sédar Senghor المؤسّس الفعلي لمفهوم "الفرانكفونية" بمعناه الحديث كما حدّده في مؤتمر القمّة الأفريقية المنعقد بعاصمة غامبيا "بانغي" عام 1962، وقال في هذا الصّدد: "الفرانكفونية ثقافة تتجاوز مجرد النّطق باللّغة الفرنسية لتصبح وسيلة تعتمدها الشعوب الناطقة بهذه اللّغة لتشارك في صنع ثقافة إنسانية ترتكز على مجموعة من القيم المشتركة".[1] ويمكن لنا أن نلخّص هذه القيم المنشودة من قبل الرّئيس الأسبق للسينيغال "ليوبول سيدار سنغور" في العدالة والحرية والمساواة، كما أراد من خلال هذا القول أن يفصل بين أمور الثقافة وأمور السياسة. فقد يكون الإيمان بالقيم التي تحملها اللّغة الفرنسية هو نفسه ما يحمل إلى العداء لفرنسا ولسياستها، كما حصل

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

في الجزائر حيث رفع لواء الثورة على المستعمر الفرنسي جيل من الكتّاب، الذين نهلوا العلم في المدارس الفرنسية، وتأثّروا بمثقفي فرنسا من أدباء وفلاسفة، وعبّروا عن عدائهم لسياستها الاستعمارية بلغة المستعمر ذاتها. تقودنا هذه المفارقة إلى الإشارة إلى الفجوة التي تكبر حينا وتتقلص حينا آخر، بين ما يبنيه الفكر وما يمارسه أهل السياسة وأصحاب القرار.

وتختلف الفرانكفونية بطبعها من بلد إلى آخر، والملاحظ أنّها في الجزائر أخذت منحى آخر، فلقد عانى الجزائريون طويلا ولمدّة قرن ونصف قرن من الزّمن من الاحتلال الفرنسي لأراضيها، مارس من خلالها المستعمر محاولات كثيرة لسلب الجزائريين لهويتهم وثقافتهم ولطمس معالم شخصياتهم الوطنية، ففرض لغته على حساب اللّغة العربية وكذا اللّغة الأمازيغية، ولكنّه وجد صعوبات فائقة في ذلك كون اللّغة الأولى ترتبط بلغة القرآن الكريم وكون الثانية مرتبطة بالأصل والهوية.

2- الرّواية الفرانكفونية والخطاب ما بعد الكولونيالي:

يشير مصطلح ما بعد الكولونيالية إلى حقل من حقول الدّراسات الثقافية المنتجة في زمن ما بعد الحداثة، حيث اعتمدت على دراسة أدب الحداثة، بالنّظر إلى محتواها الثقافي وكشف تجلياتها الإمبريالية، وكذا ردّ الاعتبار إلى الحواف والهوامش التي سعت في نضالها إلى خلق مكانة ودور جديدين بزحزحة المركز وإعادة تشكيله أو إلغائه، وهذا بالحكم على الأمور وفق نظرة متزحزحة عن المعايير التي أنتجتها ثقافة المركز التي تروم خلق هويّة للمغاير مطابقة لمعايير الذّات ومستمرّة للحظاتها التّاريخية، إنّ هذه النّظرية ترفض الصّياغة الغربية وتسعى لرسم حدود المختلف، بحفاظها على هوية إنسانية واسعة تتلاقى فيها جميع الثقافات.[2]

تعدّ نظرية ما بعد الكولونيالية (le discours post-colonial) من أهمّ النّظريات الأدبية والنّقدية ذات الطّابع الثقافي والسّياسي، وتستعرض للصّراع الثنائي بين الشرق والغرب في إطار عسكريٍّ وحضاريٍّ وقيميٍّ وثقافيٍّ وعلميٍّ، وتميّزت باستكشاف مواطن الاختلاف بينهما وتحديد أنماط تفكير.

وتستعرض نظرية ما بعد الكولونيالية أو ما يمكن أن نطلق عليها أيضا بنظرية ما بعد الاستعمار ثقافة الشعوب المستعمَرة والمقهورة بفعل الاستعمار الحديث، الذي انتشر نفوذه عبر

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

أرجاء المعمورة وبالخصوص في المنطقة التي أطلق عليها تسمية العالم الثالث، وتتضمّن شعوب القارات الثلاث: أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بما في ذلك جزء من أستراليا وجزر المحيط خاصة المحيط الهادي، كما تطرح هذه النّظرية مجموعة من القضايا الشائكة للدّرس والمعالجة والتفكيك والتقويض كجدلية الأنا والغير، وثنائية الشرق والغرب وتحليل الخطاب الاستعماري، دون إهمال ما تقدّمه أطروحات الاستشراق في تزكية المركزية الغربية قوّةً وتفوّقا، كما تتضمّن أيضا الصّراع الثقافي المضاد للتمركز العقلي الغربي خطابا أي عن طريق اللّغة وكتابة ومقصدية وقضيّة.

وإذا أردنا أن نلخّص مضمون خطاب ما بعد الكولونيالية نقول إنّه عبارة عن قراءة تفكيكية للنّصوص أو الخطاب ما بعد الكولونيالي، بهدف الإلمام بهوية الإيديولوجية الاستعمارية المقصودة أو غير المقصودة أو لفضح حجم التعارض بين الدّعاوي الحضارية التي يدّعي بها الغرب لاستفسار أهدافهم الاستيطانية في الدول المستعمَرة.

وهناك ارتباط وثيق بين الفرانكفونية والخطاب ما بعد الكولونيالي، والسّمة المشتركة بينهما أنّهما تفرّعا من الاستعمار، فالأوّلى كانت متفرّعة من اللّغة الفرنسية وهي لغة المستعمر في أنحاء كثيرة من البسيطة، وترتبط بمجالات كثيرة أبرزها الحقول اللّغوية أو اللّسانية، بينما تفرّع الثاني من الخطاب الكولونيالي أو الاستعماري الذي بات يهين الآخر بكتاباته العنصرية والقمعية، وهو ما أدّى إلى ظهور مجموعة من الأدباء والنفسانيين والفلاسفة تردّ على هذه الدّونية التي نُعتوا بها من قبل الأدباء والسّياسيين والأثنوغرافيين والأثنولوجيين والأنتروبولوجيين وغيرهم ممّن كانت كتباتهم تدين الآخر.

1.2- الخطاب ما بعد الكولونيالي وردّه على الدونية الجزائرية:

وسنحاول من خلال هذا العنصر الإلمام ببعض النماذج من الخطاب المابعد الكولونيالي الجزائري من خلال بعض المؤلفات الأدبية، لاسيما ما جاء به الباحث الجزائري "مولود معمري" الذي ردّ على الدّراسات التي قام بها الأثنوغرافيون الفرنسيون إبان التواجد الفرنسي بالجزائر، وأيضا من خلال كتاب "جي دي موباسان"[3] (Gay de Maupassant) في مؤلفه: "رحلة إلى بلاد الشمس"[4] أي الجزائر وليس اليابان كما قد يعتقد البعض، وهو من أهمّ

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

المؤلّفات التي كتبها الفرنسيون عن الجزائر خلال تواجدهم بها، ومن المعروف أنّ هذا الكاتب سجّل اسمه في سجل أحد أعمدة الأدباء الفرنسيين ويحظى بمنزلة مرموقة في الوسط الفكري الفرنسي، وكتب رحلته بلغة جيّدة جلبت عيون القراء من كلّ حدب وصوب، كما أنّها رحلة تعكس رؤية نخبة المجتمع الفرنسي إلى الجزائر. كما تأتي أهميّة هذا النّصّ من كونه يطرح أفكاره ورؤيته للآخر عبر نافذة الرّحلة، وهي حركة تقوم داخل فضاء مكاني حقيقي، عبر شخوص ومسارات لها مرجعيتها الواقعية، وهو ما يعطي لهذا الجنس الأدبي خصوصيته المميّزة له عن سائر أشكال الكتابة السّردية كالرّواية والقصّة وغيرهما، ممّا يقوم على فكرة الاحتمال، التي تقود إلى مشروعية المتخيّل وحقّه في الوجود الأدبي المفارق بطبيعته للوجود المادي التاريخي[5]، فالنّصّ الرّحلي ليس نصّا أدبيا منغلقا على عناصر الكتابة السّردية كاللّغة والخيال، ولكنّه يفتح العنان للتسجيل قصد متابعة مشوّقة للأحداث.

ونمثّل بصورة البيت الجزائري السلبية المنفّرة، فهذا البيت لا يساعد على استقرار قاطنيه، وليس وسيلة راحة وإلهام كما هو الحال للبيت الأوروبي، هكذا ينظر "موباسان" إلى البيت الجزائري، من دون مراعاة للفوارق بينه وبين البيت الأوروبي، على مستوى الطّبيعة والمجتمع والبنية الثقافية والدّينية. ويقول في هذا الصّدد: "تشعرني رؤية الشُّقة التي يقطنونها منذ ثمانية عشر عاما بالغثيان والسّخط، أهذه هي الحياة؟! أربعة جدران، بابان، نافذة، سرير ومنضدة، هكذا إذن، سجن! سجن! كلّ مسكن نقيم فيه طويلا يصبح سجنا".[6] ولكن يردّ عليه المؤلف والرّوائي الجزائري "مولود معمري" عن البيت الجزائري في روايته "الرّبوة المنسية" والتي ألفها باللّغة الفرنسية تحت عنوان: (La Colline Oubliée)[7] والتي تتحدّث عن قرية تقع خلف التلال العالية وبين جبال جرجرة بطلعتها المهيبة، والأشجار الباسقة والوديان الجارفة التي تتدفّق محدثة صوتا انفجاريا، وأين يصعب المشي بين الدروب الوعرة والشاقة، إنّها قرية همشها الاستعمار وأراد أن يمحوها من الوجود، فجنّد كل شبابها لخدمة الجيش الفرنسي في حربه ضدّ الألمان، إنّها قرية منسية لا تتّصل بعالم آخر على الإطلاق، بسبب الحصار وسياسة الأرض المحروقة وتصل درجة القسوة ذروتها حينما يقدم فصل الشّتاء بالحلول، وأيّامها لا يوجد شيء يستطيع الوقوف أمامه إلا التوسّل من الله وطلب الذود من الأولياء الصالحين، ولقد تحدّث

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

الروائي عن هذه الصعوبات ووصف حوادث مؤلمة، ويصل الأمر بأهل القرية إلى دفن الموتى في أسفل منازلهم لأنّ الثلوج تصدّ الأبواب ولا يمكن لهم حتى فتحها. ولكن هيهات ففصل الرّبيع آت لا محالة وفيه يفرح فيه النّاس ويبتهجون، والسّرور والغبطة باديان على وجوههم فالفرح بمثابة إشراقة الحياة ووجهها الوضاء والمنير، وشكلها الحسن الجميل، ورمزها الدائم ونبضات قلبها الّتي تواصل دقّها بانتظام. يصف "مولود معمري" البيت القبائلي أو الجزائري، بأنّ الدفء يمتلكه، وإن أنت دخلته تحسّ بحرارة شهباء تتخلّل جسدك خاصة حينما يكون البرد الشديد، وسوف يستقبلك أهله بكل حفاوة، لأنّ أهالي المنطقة معروفون بكرامتهم وجودهم وحسن الضيافة، إنّه بيت قديم ولكنّه أصيل قابع في أعالي الجبال منذ أزمنة طويلة، بني بواسطة الأحجار والطين والأشجار ولكنّه بني أيضا بمادة تسمّى الأصالة.

ويمثّل عنصر الشّخصية على اختلاف مستوياتها عنصرا هامّا وفعّالا في مجال الأجناس البشرية، فهي تتحرّك في سياق الأحداث وتتفاعل معها. وتختلف طريقة تقديم الشخصية من جنس الرّواية مثلا إلى آخر، والّتي تعتمد أساسا على ثقافة الرّاوي والتقنيات التي يستعملها كأن يميل إلى وصف الشخصية ومظهرها وحركتها أو أن يترك المجال للشخصية بأن تكشف عن نفسها. ولطالما اهتم قائل الرّواية ومبدعوها في وصف الشخصيات والإحاطة بكلّ ما يتعلّق بها من النّاحية الجسديّة أو النّفسية أو الاجتماعية.

هذا ولقد فرّقت الدّراسات النقدية بين مفهومي الشخص (Personne) والشخصية (Personnage) فالشخص هو عنصر فيزيقي من لحم ودم، أمّا الشخصية فكائن ورقي.[8] ومن هذا المنطلق نلاحظ أنّ "موباسان" كان يتحدّث في الظاهر عن أشخاص لهم وجودهم المادي التاريخي، ممّن صادفهم في رحلته إلى الجزائر، زعماء أو قادة أو تجارا أو مقاومين أو خونة... ولكنّه من وجهة أخرى حوّل أولئك الأشخاص إلى شخصيات ذات وظيفة سردية، وبالتالي أصبحت كل شخصية يأتي ذكرها في النّص رمزا سيميائيا يمثل مجموعة قيم نفسية واجتماعية وثقافية وحضارية.[9]

ويمكن لنا نمثل هذه الدّونية في وصف الشخصية الجزائرية بما جاء في رحلة "موباسان"، الذي تحدّث عن شخصية "بوعمامة" ويقول في ذلك: "ذاك المهرّج الشّبح الذي أفزع جيشنا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

في إفريقيا، ثمّ اختفى تماما حتّى رحنا نشكّ في وجوده... على أيّ حال لم يكن هذا الجوّال سوى رئيس عصابة قليلة العدد دفعتها المجاعة للثورة،لم يقاتل هؤلاء النّاس إلا لسلب صوامع القمح أو نهب القوافل، فهو مقاتل من أجل الجوع والفقر لا يحمل أيّة قضية وطنية، وليس له أي مشروع سوى قطع الطريق وإرهاب الفرنسيين"[10] وهذه الصّورة السوداوية لا تعكس إطلاقا صورة هذا البطل الشهم الذي قاتل المستعمر بكلّ شجاعة وإقدام ولا تمثّل صورة "بوعمامة" الشخص، ولا صورته كشخصية وطنية جزائرية فقط، ولكنّها صورة من وحي خيال الكاتب المقتنع على ما يبدو بما تروّجه السلطات الاستعمارية، التي تجرّم كافة القوى المناوئة للاحتلال، والمدافعة عن حقّها في الوجود وفي الوقت ذاته تدافع عن حقّ أبنائها المشروع.[11]

وحسب الباحث الجزائري "حبيب بوزوادة" فإنّ الحديث بهذا الشكل عن الشخصيات الجزائرية إنّما يعكس سادية دفينة – من الكاتب- تجاه الإنسان الجزائري الذي يعتبره إنسانا دونيا، واقتناعا منه بالأيديولوجية الاستعمارية العنصرية، وهذا أخطر من القتل المنهج على يد العسكر والجيش، لأنّه قتل للهوية، واستخدام لأداة نبيلة يفترض أنّها وسيلة للتقارب بين الشعوب وهي الأدب، وإلاّ كيف يمكننا أن نفسّر تعميماته المؤذية في حق الشخصية الجزائرية.[12]

وعلى ما يبدو أنّ هذا الرّوائي الفرنسي لم يكن موضوعيا بل كان ذاتيا إلى درجة كبيرة، ولو كان الأمر معاكسا لمجّد الثورة الفرنسية وأثنى على حملات "نابليون" الفرنسي، لينقد خطاب هذا الرّوائي الفرنسي الأنتروبولوجي والرّوائي القبائلي "مولود معمري" والذي ردّ عليه قائلا: "لقد تمادى موباسان كثيرا في وصفه للشخصية الجزائرية المكافحة، إذ احتقرها وجعلها في مقام دوني، مع أن هذه الشخصية كانت أبية تدافع على وطنها بكل ما أوتيت من قوّة وعزيمة، إنّها شخصية شجاعة وباسلة تغور على وطنها، بل إنّ الذي لا يدافع عن وطنه هو في درجة عالية من الخيانة والقذارة".[13]

كما حاول الكثير من الباحثين الجزائريين الردّ على الاعتداءات العرقية والعنصرية التي يصرّح بها القادة الفرنسيون وأيضا الباحثون الأثنوغرافيون الذين توزّعوا عبر أرجاء الجزائر مثلما هو الحال للأثنولوجي الفرنسي "فان جنيب" Arnold van Gennep الذي عاين مناطق البويرة

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

وبجاية والمسيلة والجلفة،... وصرّح في تقديم له: "ماذا لو لم نأت إلى هذه الأرض؟ حتما سيظلّ أهلها تحت وقع الجهل والأمية..."[14] فهذا الباحث الفرنسي قلّل من شأن الجزائر بل وأهان شعبها واصفا إياه بالجاهل. والأمر نفسه تقدّم به المؤرّخ الفرنسي "دوماس" (Dumas) في مؤلّفه: "القبائل الكبرى"[15] أو "La Grande Kabylie" الذي بدا مستهزئا بالعتاد المعيشي للشعب الجزائري خاصة ما يتعلّق بالفلاحة، كاستخدام الفلاح الجزائري الثيران أو الأحمرة أو البغال في حراثة وحصاد الأرض، واستعانته بأدوات صناعة النسيج، ومخض الحليب داخل شكوة.

3- الرّواية الفرانكفونية والانخراط الهوياتي عند "آسيا جبار":

تمكّنت الكاتبة الجزائرية "آسيا جبار" أن تقدّم للرّواية الجزائرية مقاما رفيعا وحصنا منيعا بين نظيراتها من الرّوايات العالمية، إذ قامت تستعيد للثقافة الجزائرية مكانها المغتصب منذ أمد بعيد، وكان ذلك بلغة المستعمر أجبرت من خلالها قراء الرّواية الفرانكفونية تغيير قناعاتهم ونظراتهم الدّونية للهوية الجزائرية الأصيلة.

وها هي ذي أعمالها تحيل على هويتها الأصيلة القابعة منذ أزمنة بدئية، وعلامات معرّفة بانتمائها الثقافي من خلال إصدارات تقوم على قبول الآخر خاصة حينما يتعلّق الأمر بمخلّفات الماضي ومكوّنات الذّاكرة، "فتتأكّد مع النّصّ الرّوائي مسألة البحث عن لغة الحبّ مقابل لغة الحرب ولغة الأم مقابل لغة الإبداع، وتتولّد لدى الكاتبة منطقة وسطى محايدة هي منطقة التلاقي والتبادل، أو ما يُعرف عند من عدّت امرأة المغرب الكبير العظيمة بالبرزخ الذي يحدّد فضاء الكتابة المتراوح في نصوصها بين جغرافيتين وعالمين وحضارتين".[16] ولقد ألّفت الكاتبة روايات كثيرة وكانت ضمن الجيل الأوّل من الكّتاب الجزائريين ممّن تحمّل مشقّة الكتابة باللّغة الفرنسية، وألّفت في بداية مشوارها رواية "الظمأ" (La Soif) وعدّة أعمال أخرى تدخل في أجناس القصّة والرّواية والمسرحية والسينما. ونجد أنّ التّاريخ كان حاضرا في كلّ رواياتها خاصة ما يتعلّق بوطنها، الذي ذاق مرارة الاستعمار الفرنسي وما خلّفه من قمع في حقّ الشعب الجزائري، ويتجلّى ذلك في روايتي: "أبناء العالم الجديد" و"القبرات الساذجة" (Les Enfants du Nouveau Monde) (Les Alouettes Naïves) كما استوحت أعمالها أيضا

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

من لوحات فنّية رسمها "دولاكروا" (Delacroix) حينما زار الجزائر وذُهل لما تمتلكه من مواصفات تراثية أصيلة تعكس مدى عراقة هذا الوطن، ونعني هنا روايتها بعنوان: "نساء الجزائر في مخدعهنّ" أو (Les femmes d'Alger dans leurs appartement) بالإضافة إلى روايات جسّدت التاريخ وألحقت الماضي بالحاضر ونخصّ بالذّكر هنا روايتها: "بعيدا عن المدينة" (Loin de Médine) وفيها نجد "جملة من الأسئلة ذات الصّلة بالكتابة التاريخية، ويمنح مشروعية وجوده من عمل بحثيٍّ في بطون كتب التّاريخ الإسلامي القديم، مثل الطّبقات الكبرى لابن سعد، وتاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام، إنّه مشروع إعادة قراءة التاريخ، قراءة نقدية، واعية، متفحّصة وقراءة الحاضر التاريخي للماضي وإعادة كتابته".[17] ونلتمس أيضا المرجعية الثورية الجزائرية في رواية مثيرة الأحداث وتحمل عنوان: "المرأة التي لا قبر لها" (La femme sans sépulture) وفيها جعلت البطلة "زوليخة" إحدى بطلات الثورة الكبرى رمزاً لاستعادة التاريخ والذّاكرة، وعبّرت الكاتبة "آسيا جبار" عن هذه البطلة قائلة: "سعيت لإظهارها وسط دينامية نسوية حقيقية لم يكن ينظر إليها بما فيه الكفاية في تلك الفترة"[18]. والحقيقة أنّ فرنسا همّشت المرأة الجزائرية وأسقطت عليها دونية كبيرة وصنّفتها في خانة النّساء المتوحّشات، وإن كان الأمر كذلك لصنّف الفرنسيون أنفسهم نساءهم اللائي حاربن النازية الألمانية بالمتوحّشات أيضا، ولكن من منظور استعماري يطلقون أحكاما ذاتية بعيدة عن الموضوعية. ونجد استلهام حكايات (ألف ليلة وليلة) في روايتها بعنوان: "ظل سلطاني" (Ombre Sultane) وفيها تتحدّث عن إبادة النّساء مثلما كان يفعل الملك "شهريار". أمّا في رواية "نوبة نساء جبل الشنوة" أو (La nouba des femmes du mont Chenoua) امتدّ هذا النّص الرّوائي إلى آفاق متينة تنطلق من المنطلق الأمازيغي الأصيل في إثبات حروف التيفيناغ إلى كتابات الأدباء الفرنسيين، مرورا بالمركز اللّغوي العربي المتمثّل في القرآن الكريم دون إهمال الصّيغ اللّغوية الشعبية، ونختتم عرضنا لرواياتها الكثيرة بالعنوان الأخير وهو آخر إصداراتها قبل انتقالها إلى جوار ربّها: "في كل مكان من منزل أبي" (Nulle part dans la maison de mon père).

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

ولتبيان خصائص الآخر في الرّواية الفرانكفونية عند "آسيا جبار" نتوقّف عند رواية "الحبّ والفانتازيا" أو (L'amour, La fantasia) وهي رواية تغوص بنا إلى ماضٍ بعيدٍ وبالتحديد إلى السّنوات الأولى لاحتلال فرنسا للجزائر، وهذه العودة "إنّما تحمل دلالة مساءلة التاريخ والبحث عن الذّات عبر الذّاكرة الجماعية، كما تمنح القارئ وعبر مختلف العلامات المصاحبة لعملية الاحتلال كلّ ما من شأنه أن يقف حاجزا أمام ما ينجز عن اغتصاب حرية الآخر، وتجعل وسائل المحتل أو المغتصب –وأوّلها اللّغة– أسلحة ناجعة ضدّه، ولكنّ الكاتبة وهي تستعرض ما علق بذاكرة الجزائر من آلام وجروح تسعى لتحقيق مصالحة تاريخية مع الأسلاف، وتتّخذ من ذاكرة التاريخ الحية موضع الالتقاء بالآخر، وهو ما يوحي بالبعد الإنساني الذي ينبغي أن يصاحب عملية البحث عن التواريخ والحقيقة".[19] ومع أنّ "آسيا جبار" تصرّح في الكثير من المناسبات أنّها ليست كاتبة فرانكفونية، وإنّما تستعمل اللّغة الفرنسية لأنّ والدها سلّمها إيّاها، فإنّها وفي مواقف كثيرة تشيد باللّغة الفرنسية خاصة في رواية: "اختفاء اللّغة الفرنسية" (La disparition de la langue française) ويتّضح جليا ومن خلال العنوان تحسّر الكاتبة لما آلت إليه اللّغة الفرنسية ببلادنا، إذ أصبحت الجهات الرّسمية تهملها، وكتبت في هذا الصّدد تقول: "أكتب باللّغة الفرنسية، أنا من نسي نفسه طويلا في فرنسا، العشق والكتابة أخضعهما كلّ ليل للاختبار".[20] وتشير "آسيا جبار" في روايتها هذه إلى ما آلت إليه الجزائر سنوات الاضطهاد وما خلّفته من جرائم ضدّ الإنسانية، وخاصة فئة الكتاب والباحثين والدّارسين الذي يستعملون لغة الآخر ونعني هنا اللّغة الفرنسية. وعلى غرار "آسيا جبار" نجد كتابا آخرين من أمثال "محمّد ديب" في رواياته الكثيرة مثل: "الحريق" (L'Incendie) و"الطلسم" (Le Talisman) و"من يتذكّر البحر؟" (Qui se souvient de la mer?) دون أن نهمل روايته الشهيرة تحت عنوان: "منتزه على الضفّة المتوحّشة" (Cours sur la Rive Sauvage)[21] يمجّد اللّغة الفرنسية لأنّه فيها يطلق العنان لكتابة لا تمتلك الحدود، ولأنّه متمكّن من اللّغة الفرنسية أكثر ما هو عليه من اللّغة العربية. وتمكّن الآخر من إدراك ما عاناه الجزائري إبّان التواجد الفرنسي بالجزائر، خاصة حينما اطّلع على رواية "الحريق" التي تروي مأساة أهل القصبة والعاصمة. ولو أنّ هذه السّمة نجدها عند روائيين جزائريين كثر لاسيما

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

"مولود فرعون" في رواية: "ابن الفقير" (Fils du pauvre). أمّا "كاتب ياسين" فقد عبّر عن انتفاضته ضدّ المستعمر الفرنسي عبر مجموعة من أعماله، مثل رواية: "مضلعة ساطعة" (Le polygone étoilé) وروايته: "نجمة" (Nedjma) التي أظهرت عداوة الكاتب لفرنسا بما قامت به من أجل القضاء على مقوّمات الجزائر الثقافية وخاصة اللّغوية منها مشيدا بدور اللّغة العربية التي حافظ عليها الجزائريون من خلال ارتباطها بالدّين الإسلامي، ولكن كان ذلك على حساب لغة الأصل والأجداد ويعني بها اللّغة الأمازيغية التي باتت تضيع من الجزائريين، أمّا في مسرحيته: "مجزرة الترجي"[22] (Boucherie de l'espérance) فقد وصف الآخر أي الفرنسي بكلّ صفات القمع المتوحّشة خاصة حينما أقدم على قتل المتظاهرين يوم 5 مايو من سنة 1945 حينما أخلفت فرنسا عن عهودها وناقضت بنودها.

والمتمعن في رواية "الحبّ وفانتازيا" لآسيا جبار يجدها حافلة بالاضطراب فيما يتعلّق باللّغة الفرنسية فنلتمس حضورا فعليا متكرّرا لها، كونها مصدر إلهام لها، ولكنّها أيضا تشيد باللّغة الأخرى ونعني هنا اللّغة العربية، وتقول في هذا الصّدد: "أبحث كما لو تعلّق الأمر بحليب حُرِمت منه، عن فيض الحبّ للغة أمي".[23] كما أشادت أيضا بلغتها الأصلية، ونعني هنا الأمازيغية وجعلتها لغة تلك الجدّات اللائي لقنّها في يوم من الأيّام معنى الحياة وأصالة العرق. وسعت الكاتبة من خلال روايتها تفكيك خطاب المحتلّ من خلال رؤية نقدية للتّاريخ، إذ حاولت تقويض المشروع الاحتلال الفرنسي وعن مدى تفاقم تبعاته في الماضي والحاضر، وكانت تشير دائما إلى أنّ والدها هو من مكّنها من تعلّم هذه اللّغة، "ولا يدلّ فعل انمحاء "آسيا جبار" في الفرنسية إلا على إيمانها الرّاسخ بالآخر وبما عنده، وقبول مصالحة تاريخية أساسها المواجهة العنيفة والصريحة والاحتكام إلى ذاكرة حيّة لا يعتريها الزيف، هي ذاكرة النّساء التي تشكّل عالما سريا خفيا ينبغي ولوجه والرقي إلى سمائه".[24] وهي بذلك سارت على نفس خطوات مواطنيها؛ فالأوّل كان "أبوليوس"* الجزائري الذي كان يكتب بلغة الاستعمار اللاتيني الرّوماني بفعل غياب خطٍّ أمازيغيٍ صريحٍ وكون العربية لم تأت بعد مع الوافدين والفاتحين المسلمين لشمال أفريقيا. أمّا الثاني فكان "القديس أوغسطين"** هذا الذي ما تزال

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

أفكاره وفلسفته تجريان في كل لسان فاتيكاني بروما، وكان هو الآخر يكتب بذات اللّغة ولذات الأسباب.

وعلى صعيد آخر نجد روايات الفرانكفوني الآخر "ياسمينة خضرا"[25] هذا الذي كان لديه الخيار في الكتابة باللّغة العربية واللّغة الفرنسية، فاختار اللّغة الفرنسية لأنّها وحسب رأيه تحمل رسالة أعمّ من غيرها كونها تتحدّث جلّها عن العشرية السوداء التي عرفتها الجزائر، وعن أحداث العالم الشهيرة مثل رواياته الأخيرة: "الليلة الأخيرة للرئيس" (La dernière nuit du rais) وروايته: "الرب لا يسكن هافانا" (Dieu n'habite pas la Havane) وأخرى تتحدّث عن واقع الجزائر، ويمكننا أن نمثّل في هذا المقام برواية: "أهازيج المتوحشين" (Les chants cannibales) وأيضا رواية "بماذا تحلم الذّئاب؟" (A quoi rêvent les loups?) ورواية أخرى بعنوان: "حُملان المولى" (les agneaux du seigneur)، هذا ولقد استثمرت هذه الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية سنوات التسعينات، العنف الإرهابي الذي سبّبه المنحرفون وسمّاها المتخصّصون بالعشرية السوداء وسمت الخطاب السّردي بسمات مختلفة، بما تحمله من أحداثٍ تعيسةٍ أقدم عليها المخرّبون على الأرض وطريقتهم في استمال الشبان والصّغار من أجل القيام بأعمال تخريبية وتدميرية. وكانت لروايات "ياسمينة خضرا" شهرة عالمية خاصة لدى الآخر والقراء الفرانكفونيين عبر أنحاء المعمورة ومن خلالها جرت عملية التنقيب على ما جرى من إسالة الدّماء والخراب الذي عمّ الجزائر وما تسبّب ذلك من عزلة دولية.

4- رواية السّيرذاتية "قصّة حياتي"[26] (histoire de ma vie) "لفاظمة آيت منصور عمروش":

يمكن لنا أن نفصل في مفهوم السّيرة كجنس أدبي، ونقول: إنّها ذلك النّصّ الطويل الذي يتناول حياة أحد الأعلام والمشاهير بنوع من التفصيل، في حين تكون الترجمة نصا فقيرا تضمّ إشارات مختصرة عن حياة شخص ما. فالطرح الأوّل يقترب من مفهوم السيرة عند الأوروبيين منذ القرن السابع عشر حيث دلّت كلمة Biographie على الحياة la vie وقصّة حياة واحد، فتكون نصا سرديا طويلا مفردا.[27]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

وتعتبر السيرة الذاتية (Autobiographie) في النّقد الغربي من الأشكال الكتابية البارزة المرتبطة بالأنا وأكثر صلة بالسرد، ومن النّقاد الذين اهتموا بتعريف السيرة الذاتية نقرأ ما قدّمه "فليب لوجان" (Philippe Le jeune) بأنّها قصّة ارتدادية نثرية، يقوم شخص واقعي بقصّ حياته الخاصة، ويوضّح "فليب لوجان" الركائز التي تتأسّس عليها هذه السيرة وتتمثّل في:

I. أنّ شكل الكلام في السير يكون بمثابة قصّة نثرية لا شعرية.

II. أنّ الموضوع المتناول في طياتها هو عرض لحياة الفرد وتاريخه الشخصي.

III. أن يكون هناك تطابق واضح بين المؤلّف والسّارد.

IV. أنّ الرّاوي يتطابق والشخصية الرّئيسية باعتماد النص الارتدادي اللاّحق.[28]

ويمكن لنا أن نمثّل بالرّواية السيرذاتية التي ألّفتها الرّوائية الجزائرية "فاظمة أيت منصور عمروش" باللّغة الفرنسية، وهي أوّل رواية سيرذاتية تكتبها المرأة الجزائرية وكان ذلك في القرن الماضي، وكانت تحت عنوان: قصّة حياتي" أو (Histoire de ma vie)، وفيها سردت الرّاوية حياتها منذ صغرها ومعاناتها الشديدة بسبب الفقر اللاذع الذي كانت تعيش فيه، ناهيك عن المناخ القاسي الذي تمتاز به منطقة القبائل خاصة في فصل الشّتاء، كما تتحدّث الرّاوية عن معاناة شعبها جراء الاستعمار الفرنسي اللّدود الذي لم يحترم العهود وتخطّى كلّ الحدود، وأهلك عائلتها وأصبحت يتيمة الأب –لم يشأ أن يعترف بها– تعيش رفقة أمّها وتحمّلت معها أعباء الحياة، وتروي أنّه وفي يوم من الأيّام المشرقة خرجت تتنزه وصدفة تغيّرت الأوضاع بسبب الحرب، وكتبت عن الحرب تقول: "إن اليوم يومٌ جميل، فيه الشمس مشرقة، والجوّ ربيعي والسّماء زرقاء ناصعة تسرّ الناظرين، يوم أرغب فيه أن أتنزه وأن أخرج إلى الخارج لكي أقوم بكلّ ما يحلو لي، أتحدّث، ألهو، أسير وأسير حتى أتعب، لكن هيهات فالجنود الفرنسيون قادمون، ولا يحقّ لي حتى أن أمشي خوفا من أن أحدث ضجّة برجلي الحافيتين، كما أنّني ارتديت قفلا*** إنّهم ينتهكون الحرمات وأمّي تنبّهني دائما من الحديث معهم أو حتى النّظر إليهم، إنّهم يمتلكون نظرات حادة وشيطانية، وفي المساء سمعنا صوت الطائرة يقترب وإذا بها تقصف أطراف القرية المجاورة، كلّنا خوف وذعر، أين نختبئ وأين المفر وسلّمنا أمرنا لله..."[29]

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

ومن خلال هذا الاستشهاد نلاحظ كيف أنّ الاستعمار الفرنسي المستبدّ يهلك كلّ مقاومة تنادي بالحرية والاستقلال، ومع قساوة الحياة لم تعد أمّها قادرة على تربيتها أو تلبية رغباتها فأودعتها عند الأخوات البيض (Sœurs Blanches) بناحية "الأربعاء نايت إيراثن"، وهناك عاشت "فاظمة أيت منصور" حياة تعيسة، كونها من ثقافة مختلفة تماما عن تلك التي تمتلكها نساء المعبد، فكانت تصوم وسواها لا يصمن، وكانت تؤدّي مناسك الصّلاة رفقة الراهبات، وكنّ يعاملنها بقسوة ويضربنها ويأمرهن القيام بأشق الأعمال، وثارت ثائرتها وأعلنت القطيعة عن أمّها وجعلتها السّبب لما آلت إليه، وكتبت في هذا الصّدد تقول: "إنّها دون رحمة، تعاقبني بشدّة، وتقسو علي، كما لو أنّني لم أكن ابنتها، كأنّها زوجة أبي، بل حتى زوجة الأب لا تعامل بنات زوجها بهذه الوقاحة، أكره أمي ولا أريد أن أعيش إلى جانبها، أودعتني في هذا المعبد وتركتني أشقى... يا لها من حياة ما هو ذنبي؟"[30] ولكنّها وبالرّغم من هذه السياسة القمعية كافحت وتعلّمت القراءة والطّب، وأصبحت تتكلّم لغة الآخر بكل تفانٍ وإتقانٍ، ولكن وبعد فترة بلغها نبأ وفاة أمّها فحزنت كثيرا، فتغيّرت ملامحها، وكتبت في هذا الصّدد تقول: "أمي الحبيبة: لا أستطيع أن أمتلك نفسي، ما أنا فاعلة من دونك والدّموع تسير وتنهمر على محيا وكم مكثت طويلا بالقرب منك، دفؤك يراودني، وأنا بهذا المعبد، وحنانك يغمرني، نظرتك الحادة وإصرارك الكبير على مواجهة الصّعاب باقيان قابعان في أذهاني، لم أخلْ أنّ الحياة بهذه القساوة فكيف للمرء أن يفرّق بين أمّ وأبنائها؟ صار قلبي رهيفا في كلّ مرّة أتذكرك يا أمّاه، آسفة يا أمي كنت مشاغبة لم أكترث لما كنت تقولينه لي وأنا في صغري، نامي يا أمي في مرقدك علّه موعد الرّاحة الأبدي آتي..."[31] ولما كبرت تزوّجت مع السيد "عمروش" بقرية "إغيل علي" الواقعة بنواحي بجاية، وأنجبت أولادا كثر كان لهم شأن كبير أيضا في الكتابات الفرانكفونية بالجزائر، ونخصّ بالذّكر "جان الموهوب عمروش" الذي ألّف أعمالا كثيرة، كما ألّفت ابنتها "الطاووس عمروش" كتبا كثيرة لا سيما كتاب "الحبّة العجيبة" أو (Le Grain Magique) وبقيت طوال حياتها وفية لثقافتها القبائلية الجزائرية الأصيلة، وعملت بمساهمة أخيها "جان" على كتابة وترجمة قصائد وأغاني أمازيغية من التراث التقليدي الشفوي

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

القبائلي، نظرا لما تزخر به منطقة القبائل من موروث شعبيّ ضخم، وثقافةٍ شفويّةٍ راقيةٍ، أنتجتها الحقب التّاريخية المتعاقبة.

ويمكن لنا أيضا أن نمثّل في هذا المقام أيضا برواية "ابن الفقير" (Le Fils du pauvre) للرّوائي الجزائري "مولود فرعون" الذي لخّص حياته المناضلة ضدّ مشقّتها، خاصة ما عناه جراء المستعمر الفرنسي، وتعلّم لغته ولكنّه لم يخدمه بل خدم قضية وطنه وناضل حتى أُستشهد تحت وابل الرّصاص في أمسية من الأمسيات بالجزائر العاصمة، يعالج الباحث في المدخل الخلفية التاريخية التي تميز منطقة القبائل التي كانت تحت رحمة الاستعمار، والظروف التي تشكّلت فيها النخبة المثقفة –يمثّل بنفسه حينما بدأ يدرس في جامع القرية– هذه النخبة التي بقدر ما تحمل تراثها وانتماءها الثقافي نجد أنّها تعلمت في المدارس الفرنسية، وتشكّلت رؤيتها وقناعاتها ضمن تفاعلها مع ثقافة الآخر، وإدراكها التخلف الذي تعيش فيه مقارنة بما يتمتّع به هذا الآخر من خيرات رمزية ومادية. وكل هذا ولد مشاعر متناقضة، وأوجد نوعاً من الازدواجية الفكرية الإعجاب/الرّفض، وعقدة النّقص والدّونية التي كانت تدفع النخبة إلى إدانة نفسها من خلال إدانة مجتمعها وحالته المزرية تلك. ويعتبر الباحث أن وجود الصّراع الحضاري كان مرتبطاً برد الفعل الطّبيعي إزاء وجود الاستعمار الفرنسي، الذي أوجد تلك الثنائيات المطلقة من قبيل"شرق/غرب" أو ثقافة متطورة وثقافة تقليدية. ولعلّ هذا الفكرة كانت السّمة البارزة أيضا لدى هؤلاء الباحثين والمختصين الذين صنّفوا الإطار الجغرافي للدّول المتخلفة أو بالأحرى التي ظهرت فيها آداب ما بعد الكولونيالية والذي ينحصر في مستعمرات تقع أغلبها في العالم الثالث أو الدّوني كما أطلق عليه الغرب المتسلّط، وتتمثّل في القارة السمراء وآسيا وأمريكا اللاتينية ودول بحر الكراييب وجزر المحيطات، ونخصّ بالذّكر جزر المحيط الهادي والتي تعرّضت أغلبها إلى دراسات أثنوغرافية وأثنولوجية وأنتروبولوجية خاصة ما قام به الباحث الأنتروبولوجي "برونسلاف مالينوفسكي" (Bronislaw Malinowski) من خلال مؤلّفه: "مغامرو المحيط الهادي الغربي" (Les Argonautes du Pacifique occidental) وأعمال أخرى قام بها "جيمس فرايزر" في كتابه "الغصن الذهبي"، وكتاب "كلود ليفي ستراوس" (Strauss) بعنوان: (Tristes tropiques) أي "مدريات حزينة"، وأيضا كتاب "فرانسيس أكسلاي" (Francis

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

(Huxley الذي يحمل عنوان: (Aimables sauvages) "بدائيون لطفاء"، دون أن نهمل أعمال الأثنولوجيين الفرنسيين بالجزائر من أمثال: "فان جينب" (Van Gennep) و"جان سرفيي" (Jean Servier) والفرنسي الآخر "بيير بورديو" (Pierre Bourdieu) والألماني "ليو فروبينيوس" (Leo Frobenius) وغيرهم... وإنّ المعرفة الاستعمارية المكرّسة لمعرفة المجتمعات المستعمرة تسمّى جملة وتفصيلا بالخطابات، إنّها ليست منتجات لإدراك مكوّنات هذه المجتمعات فقط، وإنّما هي بمثابة المعرفة التي تُستعمل من طرف المراكز الاستعمارية لإخضاع الشعوب المحتلّة والمستعمرة.

وصفوة القول إنّ الفرانكفونية ليست هي الفرنسية في حدّ ذاتها، إنّما مجال للتعبير عن مجموعة من الأفكار والآراء من أجل بلوغ هدف نبيل، لتكون بذلك لغة الانفتاح على العالم بعيدة عن المساعي الاستعمارية القديمة. ولكنّها تفقد هذه الخصيّة التمييزية الإيجابية حينما تصبح أداة أيديولوجية قائمة السيطرة والنّفوذ المكرّسة للتبعية والإلحاق بالآخر والمساس بمقوّمات الوطنية من لغة عربية وأمازيغية والدّين والعادات والتقاليد والأعراف وهو ما تصدّى له الرّوائيون الجزائريون الذين وقفوا كسدٍّ عنيفٍ في وجه الاستعمار والفرانكفونية السلبية.

الهوامش:

1- Dominique et Michèle Frémy, Quid 2002, Robert Laffont, Paris, 2001, p1066.

2- ينظر: إدريس الخضراوي: الأدب موضوعا للدّراسات الثقافية، جذور للنّشر، ط1، الرباط، 2007، ص36.

3- جي دي موباسان (Guy de Maupassant): كاتب فرنسي 1850-1893، رافق الجيش الفرنسي في حملته على الجزائر عام 1881، وكتب على إثرها رحلته.

4- جي دي موباسان: رحلة إلى الجزائر؛ بلاد الشمس، تر: نادية عمر صبري، ورد للطباعة والنّشر، دمشق، ط1، 2007.

5- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النّص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص279.

6- جي دي موباسان:رحلة إلى الجزائر؛ إلى بلاد الشمس، ص9.

7- Voir : Mouloud Feraoun, La colline oubliée, Ed : Tala, Béjaia/Algérie, 2007.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

8- ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي- معالجة تفكيكية سيمائية مركّبة لرواية زقاق المدق- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص126.

9- ينظر في هذا الصّدد المقال الذي كتبه: حبيب بوزوادة، الإبداع والحقيقة في الأدب الكولونيالي؛ قراءة في نصّ: رحلة إلى الجزائر لجي دي موباسان، جامعة معسكر، الجزائر، 2006، ص3.

10- جي دي موباسان، رحلة إلى الجزائر؛ إلى بلاد الشمس، ص23.

11- ينظر: حبيب بوزوادة: الإبداع والحقيقة في الأدب الكولونيالي، ص3.

12- نفسه، ص3-4.

13- Mouloud Mammeri, Le discours post colonial, Revue Africaine, N° 102, Ed : El Othmania, Alger, 1985, p66.

14- Van Gennep, Le voyage de Van Gennep en Algérie, Ed : Awal, Alger, 1995, p35.

15- Voir : Dumas Eugène, La Grande Kabylie, Hachette, Paris, 2009.

16- عزيز نعمان، آسيا جبار: مسيرة حثيثة على خطى التاريخ والذّاكرة، مجلة تحليل الخطاب، العدد16، عدد خاص بأشغال الملتقى الدّولي الثامن حول "تجربة الكتابة عند آسيا جبار"، أيّام: 09-10-2013/11، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2013، ص71.

17- حسان راشدي، إعادة كتابة التاريخ في رواية: "بعيدا عن المدينة" لآسيا جبار، العدد نفسه، ص11.

18- Aliette Arnel, La femme sans sépulture –Assia Djebar, Le magazine littéraire, n°459, Ed : SAS magazine expansion, Paris, décembre 2006, p118.

19- عزيز نعمان، آسيا جبار: مسيرة حثيثة على خطى التاريخ والذّاكرة، ص74.

20- Assia Djebar, La disparition de la langue française, Ed : Albin Michel, Paris, 2003, p133.

21- Voir les œuvres de Mohamed Dib : L'incendie, Ed : Seuil, Paris, 1954.
Le Talisman (Nouvelles), Ed : Seuil, Paris, 1966.
Qui se souvient de la mer, Ed : Seuil, Paris, 1968.
Et aussi : Cours sur la rive sauvage, Ed : Seuil, Paris, 1972.

22- Voir les œuvres de Kateb Yacine : Nedjma, Ed : Seuil, Paris, 1956.
Le polygone étoilé, Ed : Seuil, Paris, 1966.
Et aussi son œuvre théâtral : La Boucherie de l'espérance, Ed : Seuil, 1974.

23- Assia Djebar, L'amour, La fantasia, Ed : Jean Claude Lattès, France, 2002, p132.

24- عزيز نعمان، آسيا جبار: مسيرة حثيثة على خطى التاريخ والذّاكرة، ص85.

* أبوليس (Apulée): وهو أديب وفيلسوف جزائري، وُلد بضواحي مادور، (مداوْروش) بضواحي سوق أهراس، سنة 125 للميلاد، تعلم الآداب والفنون وزار روما وأثينا كما درس أسرار الدّيانات.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167

** القديس "أوغسطين" (Saint-Augustin) مفكر وأديب أمازيغي جزائري ريطوريقي، ولد بمدينة "تغست" (Tagast) بناحية سوق أهراس سنة 354 للميلاد، وسميت الكاتيدرالية الكنائسية بعنابة باسمه تخليدا له ولأعماله وإسهاماته الكبرى في مجال الفلسفة والمنطق.

25- Voir les œuvres de: Yasmina Khadra, La dernière nuit du rais, Ed : Casbah, Alger, 2015.
Dieu n'habite pas la Havane, Ed : Casbah, Alger, 2016.
Les chants cannibales, Ed : Casbah, Alger, 2013.
Les agneaux du Seigneur, Ed : Pocket, Paris, 1999.
Et aussi : A quoi rêvent les loups, Ed : Pocket, Paris, 2009.

26- Fadhma Ait Mansour Amrouche, Histoire de ma vie, Ed : Maspero, Paris, 1968.

27- ينظر: مجموعة من الدّارسين والباحثين، معجم السّرديات، الرّابطة الدولية للنّاشرين المستقلّين، تونس/لبنان/الجزائر/ المغرب/مصر، ط1، 2010، ص257.

28- ينظر: نفسه، 260.

*** وهو قفل صغير تضعه العجوز للفتيات حينما يزهرن، خوفا منهن أن يغتصبنهن الجنود.

29- Ibid, p34.
30- Ibid, p22.
31- Ibid, p76.

University of Souk Ahras - Université Mohamed Chérif Messaadia de Souk-Ahras
http://www.univ-soukahras.dz/en/publication/article/1167